

المصالحة مع المستقبل تتطلب مصالحة المغاربة مع الثروة والمقاولة والريح تأثر العقل الجمعي المغربي بشكل كبير بثقافة العقل الجمعي الفرنسي، وهنا وجب التأكيد على أن فكر الحركة الوطنية المغربية بعد الاستقلال كان فكرياً متأثراً بشكل كبير بالتجربة الفرنسية بشكل عام وبرنامج المجلس الوطني للمقاومة بفرنسا بشكل خاص (خصوصاً النخب التي تكونت في المدارس الفرنسية سواء نخب المغرب الرسمي أو نخب المغرب السياسي المعارض) والذي كان يتوخى في مجمله وضع الاقتصاد الوطني تحت المراقبة العمومية وتطوير كبير للحماية الاجتماعية من خلال القانون والعمل على خلق تنظيم نقابي مستقل وقوي. ولكن الانتقاد الكبير الذي وجه لبرنامج المجلس الوطني للمقاومة الفرنسية الذي بصم فكر الحركة الوطنية المغربية بعد الاستقلال، كان يتمثل في كون هذا الأخير لم يحدد أية مساحة بداخله لمفهوم الحوار ولا للعقد ولا للمعاهدات ولا للاتفاقات، مما ولد إقصاء للمقاولة والريح والمقاولين لدى الرأي العام الوطني الفرنسي ورسخ الحضور القوي في العقل الجمعي الفرنسي للدولة والقانون والقرار الإداري والعقد الإداري ومنح للفرنسيين الدولة التي تمشي برجل واحدة (النخب المغربية المعجبة بالتجربة الفرنسية، عملت على نسخ التجربة الفرنسية بعلاقتها، داخل الواقع المغربي). لم تقف النخب الفرنسية المتصالحة مع الثروة موقف المتفرج من جمود العقل التقليدي الفرنسي أمام العقل الأنغلو سكسوني وخصوصاً العقل الإنجليزي، وفي هذا السياق وجب التذكير بالمقارنة التي قام بها فولتير ما بين العقل المفاول الإنجليزي والعقل الفرنسي الجامد الذي مازال يحن للعصر الفيودالي، الذي يعتقد أن المناصب الشريفة وذات القيمة المجتمعية هي المناصب المرتبطة بالدولة (الموظفين وخدام الدولة بالأساس). الاشتراكي والسياسي ورجل الدولة الفرنسي جون جوريس سينشر بتاريخ 28/05/1890، كتب مقالا يحمل عنوان "أيها المقاولون الفرنسيون، كونوا فخورين بعملكم" وقد جاء هذا المقال في عز الهجوم على عالم المقاولين من طرف عالم العمال، مما يوضح الخوف الكبير لدى جزء من رجال الدولة الفرنسيين المتصالحين مع خلق الثروة ومع الثروة، من تأثير الهجمات المستمرة على مهنة المقاولة على مستقبل واقتصاد فرنسا. وأكدت مجريات الأحداث وتطورها أن هؤلاء المفكرين كانوا على صواب في تحذيراتهم أمام ما نشهده من تراجع مهول للعقل المفاول الفرنسي أمام العقل المفاول الأمريكي والبريطاني والألماني وحتى العقل الآسيوي (وتأثير هذا التراجع على الاقتصاد الفرنسي). العدوى انتقلت كذلك إلى العقل الجمعي المغربي من خلال تفضيل العمل في الوظيفة العمومية، مع العلم أنه وبخلاف النخب الفرنسية المنتقدة لجمود العقل الفرنسي فإن غالبية النخب المغربية لم تملك شجاعة انتقاد العقل الجمعي المغربي في ما يخص عدم مصالحته مع الثروة، كما أن العقل الجمعي المغربي تأثر كثيراً بالحضور القوي للأيديولوجية الماركسية واليسارية التي تكره أصحاب الرأسمال (حيث يقول ماركس - إذا جاء المال إلى العالم ببقعة دم خلقية (Augier) على خذ واحد، فإن رأس المال يأتي يقطر من الرأس إلى أخمص القدمين، ومن كل مسام، بالدم والأوساخ). ما يشهده العالم اليوم يؤكد عكس ما ذهب إليه ماركس، حيث يلاحظ الاعتماد على السياسات المهمة باستقطاب رؤوس الأموال أو ما أطلق عليها الشيوعي السابق ألان مينك الاعتماد على قانون الجاذبية (السياسات المهمة بجذب الرأسمال، صار يطلق عليها قانون الجاذبية، أي متفق عليها عالمياً) ويعني به جاذبية الدول للرأسمال والذي يعتبر أولوية للاقتصادات الناجحة. العالم اليوم يرد على مقولة ماركس على الشكل التالي (رأس المال يأتي يقطر من الرأس إلى أخمص القدمين بخلق الثروة والربح وارتفاع الناتج الداخلي الخام ويمنح اللون الأخضر لميزان الأداءات والميزان التجاري ويحفز على الابتكار ويعمل على تشجيع الاختراع وتطوير العقل المفاول). ماركس سيؤكد كذلك على أن، ليس هناك إلا طريقة واحدة لقتل الرأسمال، الضرائب ثم الضرائب، ودائماً المزيد من الضرائب، ولكن العالم اليوم يتنافس في تبني استراتيجية جذب رؤوس الأموال، من خلال إحياء وتطوير الرأسمال من خلال إغرائه بالمزيد من التخفيضات الضريبية وبالمزيد من التنافس في إنشاء ما يطلق عليه الملاذات الضريبية، من أجل استقطاب رؤوس الأموال (وبالتالي يرفع غالبية الدول شعار: شجعوا الرأسمال من خلال القليل من الضرائب ثم القليل من الضرائب حتى لا تهرب إلى الملاذات الضريبية). في افتتاحيتها بمجلة "لوبوان" المخصصة للنقاشات الاقتصادية الكبرى الصادرة سنة 2019) ستؤكد الكاتبة كاترين كوليو على أن رد ماركس اليوم على التغييرات التي يشهدها العالم كان سيتمحور حول المطالبة بضرورة تصور نموذج جديد للمجتمع مختلف عن النموذج الذي تصوره سابقاً. العقل الجمعي المغربي تأثر كذلك بثقافة قرن المساواة مما جعله في مجمله يكره المال وأصحاب المال والمقاولين ويعشق المساواة والمجانبة والدعم والتحويلات والمحرومين والفقراء والحماية والأنظمة الأساسية والقطاع العام والدولة، ويتأكد ذلك من خلال الشعار الرسمي الذي يرفع في غالبية الاحتجاجات والذي يتغنى بالفقر (الله يبليك بحب الشعب حتى تلبس الدرباله، درباله الكادحين ما يلبسها من ولي). الخطير في تأثر العقل الجمعي المغربي بثقافة قرن المساواة يتمثل في ردة فعل العقل الجمعي المغربي المتشبع بثقافة قرن المساواة في تركيز اهتمامه على استراتيجية

تقليص ثروة الغني بدل التركيز على استراتيجية إغناء الفقير مما يخلق ما يطلق عليه - هستيريا اقتسام ثروة الأغنياء- (وهنا سيؤكد المدير العام السابق لشركة "طوطال كريستوفر دوماركوري"، أن شعار اقتسام ثروة الأغنياء، هو شعار كاذب لأن الحقيقة المرة، هي أن اقتسام ثروة الأغنياء لن تمكن من ضمان العيش الكريم للجميع بل تعمل فقط على إفقار الجميع). السياسي الفرنسي ميشيل روكار في الافتتاحية التي مهد بها لكتاب "فرنسا الأخبار السارة" سيؤكد أن الفرنسيين يرفضون المقاول والمقاولين ولا يرون تحسنا لأوضاعهم إلا من خلال القانون وليس من خلال الاتفاقات أو العقود، ونظرا لهذا الرفض وهذا الكره فإن الخلافات الاجتماعية والخلافات التي عرفتها المقاولات الفرنسية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين كانت عنيفة، وهذا الكره وهذا الرفض لم يمكن فرنسا من إنجاز المصالحة مع الثروة، كما لم يمكنها من تحديث فن الحوارات الاجتماعية وحرمانها من تعزيز موقعها العالمي في استقطاب رؤوس الأموال. في كتابه الاستعجال الفرنسي جاك أطالي (وهو صاحب الكتاب الذي يحمل عنوان، ماركس أو عقل العالم الصادر سنة 2005) الاقتصادي ومستشار الشؤون الاقتصادية لدى الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران سيؤكد أن قرن المساواة والأيدولوجية الماركسية رسخت الثنائية المعتمدة على المساواة والفقير، والاثنين عملا على شرعنة أيدولوجية الربح. أيدولوجية الربح رسخت الكره والحقد على كل من يكسبون أموالهم من خلال المقاولات المبدعة من داخل مربع استراتيجية المنافسة والسوق. ثقافة الربح عملت على شرعنة المصالحة مع الثروة الموروثة، أي القادمة من عالم الربح والمحمية بشكل جيد من الضرائب، كما أن ثقافة الربح رسخت كذلك الكره الكبير للعمل الفعلي والجدي وشرعنة المعارك الموجهة لتقليص ساعات العمل وسنوات العمل (دائما حسب جاك أطالي) لدى بعض الحضارات المتشعبة بثقافة الربح. مما يعني أن العقل الجمعي المغربي يلزمه الكثير من الوقت والجهد والإرادة من أجل التخلص من الإرث الفكري الفرنكفوني، حتى يتسنى له تعبيد الطريق للمصالحة مع عالم الثروة وعالم المقاول وعالم الربح.